

كلمة حق على الاسلام والدولة العثمانية

(ترجمها)

وحواشها ببعض حواش

(محمد طلعت حرب)

من موظفي الدائرة السنينة وأحد أعضاء الجمعية
الجغرافية الخديوية

(حقوق الطبع محفوظة للترجم)

الطبعة الاولى

بالمطبعة الكبرى الاميرية بيولاقي مصر المحمية

سنة ١٣١٥ هجرية

(بالقسم الادبي)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى سائر
الانبياء والمرسلين وبعد فقد اطلعت على هذه الرسالة التي قدمها
بالفرنساوية الى مؤتمر المستشرقين المنعقد عام ١٨٩٤ بمدينة
جنيف ببلاد سويسرا سعادة الفاضل نعمان بك كامل السكرتير
الخامس لجلالة مولانا السلطان ومنذوب دواتنا العلية في المؤتمر
المذكور . فأحيت أن أترك أهل وطني الذين لا يعرفون
الفرنساوية في الوقوف على ما تضمنته من الفوائد والمزايا والله
المسؤل في إعلاء كلمة الحق ولو كره المبطلون ما

جادی الاخرة سنة ١٣١٥ الموافق نوفمبر سنة ١٨٩٧ محمد طاعت

حرب

كلمة حق على الاسلام والدولة العثمانية

بلاد الدولة العثمانية هي مهد النوع الانساني ففي عرفات
تلاقى آدم وحواء بعد هبوط الاوّل بسيلان (سرنديب) والثانية
بجدة وهناك تعارفا وبنيا أول بيت لعبادة الله تعالى وهو الكعبة
المشرقة وعلى الجودي الذي هو فرع من جبل أراراط استوت
سفينة نوح أما ابراهيم عليه السلام فقد ألقى في النار بالقرب
من أورفا (الرها) ولا تزال آثار الرماد فيها

وكذلك كان ظهور التمدن على شواطئ النيل والفرات ودجلة
وفيهما ترعرع ومنها تفرع كما أنه باليمن كان سيل العرم الذي
تفرقت بفيضانه قبائل العرب شذر مذر وانتهى دورهم الاوّل .
وموسى عليه السلام أوتي صحفه بطورسينا وعيسى عليه السلام
قام يدعو الناس الى مكارم الاخلاق في فلسطين

وبينا محمد صلوات الله عليه ظهر بمكة وفي ذلك نهاية المفاخر

لانه سيد الاوائل والاواخر

وبالجملة فان كل الانبياء عاشوا في فلسطين أو بلاد العرب وكل
الشارعين والفلاسفة جاؤا آسيا الصغرى أو مصر ونبغوا فيها :
فكانت دعوة زرادشت (١) الناس لمذهب الأصليين (الخير والشر)
بالقرب من الخليج الفارسي وبعجائب الدنيا السبع (٢) انما هي في بلاد
الدولة العثمانية كما أنه كان بها أيضا الاكتشافات العظيمة في الزراعة
والصناعة ورفع الاثقال وعلم الهيئة واختراع البوصلة وحروف
الهجاء والعمارة والطب والطبيعة والرق المستعمل في الكتابة وعلم

(١) زرادشت رجل من السلالة الملوكية بفارس ولد باذر بيجان وظهر أيام كان
الايروانيون ضاربين خيامهم في اقليم بلخ وجاء في الخرافات انه أمضى طفولته
وشبو بئته في مقاومة الشياطين والابالسة حتى اذا بلغ الثلاثين من عمره عرج
بروحه الى البارئ تعالى فأعلمه ان أفضل المخلوقات على الارض انما هو الانسان
ذوالقلب الظاهر وبعد امتحانات كثيرة ابتلاه بها سبحانه وتعالى أعطاه بيده
كتابا يحتوي على الشريعة وهو البستاه ثم هبط عائدا الى الارض ودعا الى هذا
الدين الجديد فدخلت فيه الامة الايرانية بأسرها

(٢) هي سبعة آثار مشهورة وهي أمهرام مصر وبنسائين بأبل المعلقة
وفنار الاسكندرية وتمثال رودس وثلاثة هياكل لبعض آلهة اليونان
الاقدمين

الملاحة وكما تزدان مصر والجزيرة وبلاد العرب بالاهرام والبساتين
المعلقة وإرم ذات العماد

وحينما قلبنا الطرف في خريطة هذه المملكة رأينا كل بقعة
من بقاعها وكل صقع من أصقاعها منبعاً للحضارة والعمارة
والشوكة والاقْتدار والدليل على ذلك ما كانت عليه ممالك آل حير
وبني قحطان ودولة المصريين والبابليين والكلدانيين والاشوريين
والمآدين والفرس ودولة الاسكندر والاتيوبيين واليهود والعمالقة
والفنيقيين ومدينة تدمر ودول الغسانيين والبطالسة والسجوقيين
والساسانيين والجمهوريات القائمة على سواحل البحر الابيض
المتوسط وقرطاجنه ومأرب وسبأ وغيرها

وكانت بلاد الدولة أيضا على الدوام مسرحا لمنافسات الممالك
المتغلبة على العالم وكل مملكة تم لها الفوز والظهور سعت في
إزالة رسوم تمدن الدولة التي سبقتها كيلا تبقى في الارض إلا ماهو
من خصائصها . وهذا هو السبب في كون مدن تروادة وتدمر

وطيبة ومنف ونينوه وبابل (١) وغيرها التي كانت عواصم الدنيا
اصبحت أطلالا بالية وذلك لانه كان ينقص التمدن القديم أمر
واحد وهو العلم بحقوق الامم والعمل به فيما بينهم بجاء الاسلام
هاديا اليه مقتررا لقواعده فظهر هذا النور في العالم بظهور سيد
الانام محمد عليه الصلاة والسلام فدعا الناس الى الصراط المستقيم
وقال (إنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) ومن نظر الى الاسلام
وجده مشابها للشريعتين اللتين أنزلهما الله تعالى على موسى

(١) تزواده مدينة قديمة بآسيا الصغرى حاصرها قدماء اليونان مدة عشرين سنوات
فشاع صيتها واكثر شعراؤهم من ذكرها وأخصهم هوميروس . أما مدرفهى
احدى مدائن تركيا آسيا وأطلالها لاتزال موجودة للآن بصحراء سوريا . وطيبة
ويسمونها أيضا طيبوه عاصمة الصعيد فى أيام الفراعنة وفى بعض مكانها الآن
مدينة الاقصر أو قصور أبى الحجاج . ومنف الامم العربى لعاصمة مصر القديمة
فى محلها الآن قرية ميت رهينة بالجيزة . ونينوه مدينة مشهورة بالعراق كانت
عاصمة الاشوريين . وبابل هى المدينة الشهيرة بالعراق وفى مكان أطلالها الآن
قرية الحلة ويقال انها بلغة الكلدانيين باب ابل أى باب الله

وعيسى عليهما السلام في كونه قائما على خمس قواعد اعتقادية
وخسة أركان عملية فالاعتقادية هي

أولا - الايمان بالله واحد فرد صمد هو الحق سبحانه وتعالى الذي
لاتدرکه العقول ولا تحسده الاوهام وايس كمثلہ شیء لانه قتره عن
المادة والزمان والمكان لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

ثانيا - الايمان بتلائكته الذين خلقهم من الانوار الروحانية

ثالثا - الايمان بالكتب المنزلة على أنبيائه المرسلين ليحكوا بين
الناس بالعدل والحكمة

رابعا - الايمان بالانبياء وأولو العزم منهم نوح و ابراهيم وموسى
وعيسى ومحمد عليهم السلام ولا يعلم عدد الانبياء الا الله وهم الذين
اصطفاهم من عباده وآتاهم الكتاب والحكمة وعصمهم عن
الخطايا وبعثهم الى الخلق مبشرين ومنذرين ليستقيم أمر الناس
في دينهم ودنياهم

خامسا - الايمان باليوم الآخر وهو يوم الثواب والعقاب
والعملية هي

أولا - (١) الصوم أى الامسالك عن الشهوات طول النهار مدة شهر كامل فى كل سنة حتى يتسنى للانسان أن يعرف مقدار ما أوتى من نعم الله وخيراته فيحمده عليها ويتظر الى من هم دونه فيها أو المحرومين منها فتأخذه الشفقة والمرحة عليهم

أما من كان مريضا أو على سفر أو من النساء اللاتى فى الحيض أو النفاس فيحرم عليه الصوم (٢)

ثانيا - اقامة الصلوات الخمس فى كل يوم وليلة ليحاسب الانسان نفسه أمام الحق سبحانه وتعالى على أعماله فتكون معاملته مع الناس بالحسنى وطهارة الجسم والتياب شرط من شروط صحة الصلاة . ولذلك

(١) هذا الترتيب على حسب الاصل الفرنساوى أما لفظ الحديث الكريم فهو (بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وابتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا)

(٢) هذه عبارة الاصل والذى أعلمه من الفقه أن المنوع عن الصوم هو النساء الحائضات والنفساء أما من كان مريضا أو على سفر فهو مخيرا إذا قدر خصوصا المسافر وان يصم خير له

لايجوز للحائض أو النفساء أن تصلى حتى تطهر
ثالثا - حج البيت الحرام لمن استطاع اليه سبيلا صحة ومالا ومن
ثمراته اجتماع أفراد مختلفين من كافة أنحاء الدنيا في صعيد واحد
في كل سنة ليتعارفوا فتتمكّن بينهم الالفة والمودة
رابعا - إيتاء الزكاة وهو أن يملك الانسان الفقراء مرة في كل
سنة ربع عشر النصاب الذي يملكه فأثما عن حوائجه الاصلية
وحال عليه الحول

خامسا - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله
هذه هي الاركان الخمس الواجب على كل مسلم أن يجعلها
عماده في أعماله ومن أراد الوقوف على جميع أحكام الدين الاسلامي
يجدها ملخصة في سورة العصر وهي

قال تعالى (والعصران الانسان لئن خسر إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

فهذه المبادئ القويمة والاحكام الجليلة سطع نور الاسلام
في أفق العالم المتمدن الذي كانت تتفاسم الحكم عليه وقتئذ دولتنا

الروم والفرس ولا يخفى أن هاتين الدولتين قد حلنا محل من سبقهما من الامم العريقة في التمدن والعمران وورثتا عنها علومها ومعارفها ومسدينتها وحضارتها ولذلك كانت لهما السيادة على أفضل بقاع الارض وأبركها كما ازدانتا بالسابقين في ميدان العلم والحرب

الفتح الاسلامي بحرية الاديان والعدالة

هل كان في وسع الاسلام أن يعلى كلمته ويرفع رايته بجد الحسام ولم يكن القائمون به إلا بضعة آلاف من العرب
كلا فان البطل الهمام أنيلا (١) ومعاه ملايين من أقوام

(١) أنيلا أحد ملوك آسيا قومه يسمون الخون أو الهون وجد في القرن الخامس المسيحي وأغار على بلاد المشرق والمغرب ودوخ أقواما وخرّب مدائن وبلادا وكان جبارة عاتيا حتى قيل عنه انه مصيبة من السماء على من في الارض وكان يتخربان العشب لا ينبت حيث وضع حصانه قدمه

الحنون أو الهون (Huns) لم يتيسر له أن يتغلب على البلاد
المتاخمة لمملكة الرومان وغاية ما توصل اليه بعد الجهد والعناء أنه تمكن
من العبور بها مع جيوشه الجرزارة من غير أن يتم له إخضاع أهلها .
أما الاسلام فلم تكن لديه تلك الملايين من النفوس ولا تلك العدد
الحربية الكاملة التي كانت عمادا للفرس والروم في حروبهم بل
انه كان لا يذكر بجانب أخصامه من حيث العدد والقوة والنظام
فما هي اذا تلك القوة التي تيسر بها للاسلام أن يخضع العالم
المتمدن في أقل من خمسين عاما

لعمري انها حرية الاديان والمساواة في الحقوق والاخاء بين
المسلمين مهما كان جنسهم من غير تمييز ولم تك هذه المبادئ
الشريفة اللازمة للكامل الانساني والتمدن الحقيقي معلومة قبيل
الاسلام فظهرت بظهوره وفضلا عن ذلك فان صلح الحديبية (١)

(١) هو الصلح الذي حصل بينه عليه الصلاة والسلام وقريش حين منعوه
من البيت الحرام بكة وكادت تشتبك الاسنة بين الطرفين ثم تصالحا على
شروط هي (١) وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنين (٢) من جاء =

بشهادته أن محمدا عليه الصلاة والسلام هو الذي أمضى أول معاهدة
دولية في العالم

ولما حاصر المشركون بيت المقدس في خلافة سيدنا عمر بن
الخطاب رضي الله عنه خاف النصارى المحصورون أن تكون
حرية الأديان والعدالة التي وعدهم بها المسلمون خدعة وحبالة
فاشترطوا لتسليم البلد حضور الخليفة بنفسه اليهم ليوقع أمامهم
على معاهدة الصلح والتسليم فلم يلبث أن بارح عمر المدينة وجاء
بيت المقدس ووقع على المعاهدة الشهيرة التي تم بها دخول هذه

= المسلمون من قريش يردونه ومن جاء قريشا من المسلمين لا يلزمون برده (٣) أن
يرجع النبي من غير عمرة هذا العام ثم يأتي العام المقبل فيدخلها بأصحابه بعد أن
تخرج قريش منها فيقيمها ثلاثة أيام ليس مع أصحابه من السلاح إلا السيف في
القرب والقوس (٤) من أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل
فيه ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه . وقصة هذا الصلح
مشهورة في كتب التواريخ والسير النبوية فليراجعها من يريد الوقوف على
تفصيلاتها

المدينة في حوزة الاسلام (١) . فاستبشر المسيحيون من آريين ونسطوريين وغيرهم بهذا الفتح واستقبلوا الاسلام كاستقبال الاسير لمن يفتك قيوده وفتحوا امامه ابواب المدائن ودخل أكثرهم في الدين الاسلامي الحنيف . أما النصارى واليهود الذين حافظوا على دينهم فقد عاشوا في ظل دولة الاسلام في هناء ورغد عيش لم يروا شيئاً منهما في عهد الدولة الرومانية فلم يأسفوا قط على زوال حكمها وذهاب أيامها وكانت معاملة الاسلام هذه هي التي جذبت اليه القلوب وسلمت له البلاد والنفوس حتى ان هرقل قيصر الروم المشهور بالشجاعة والاقرام لم يحارب المسلمين الا مرة واحدة دارت فيها الدائرة عليه باليرموك مع أن جنوده كانوا عشرة أضعاف القاطنين بنصرة الاسلام فرأى من الحزم بعد هذه الهزيمة أن يقول (استودعك الله يا أرض الشام استودعك الله الى ماشاء الله)

(١) هذه صورة المعاهدة أخذنا من كتب النوارخ « انكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم لانسكن ولا تخرب الا أن تجدوا حدنا بما وأشهد عمر على ذلك شهوداً

وانسحب عنها وملء قلبه الحسرات فانه أدرك حينئذ أن الاسلام لم يفرز عليه بجد الحسام بل بالحكمة القويمة وطهارة المبادئ التي نزل بها القرآن الكريم فاستمالت القلوب وأخضعت الامم في أفريقيا وجزء عظيم من آسيا حتى صار أهلها مسلمين أوذمتين

وفي سنة ٧١١ مسيحية دعا أهل اسبانيا المسلمين ليحكموا بلادهم فحققوا على أرجائها الهلال . فلم يكن اذا الفتح الاسلامي بطريق الاجبار والاكراه لأن ذلك ممنوع بقوله تعالى (انك لاتهدى من أحبت وليكن الله يهدي من يشاء) وبقوله تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة)

ودام الحال على هذا المنوال حتى هب النصارى في القرن العاشر المسيحي الى الحروب الصليبية فتلطح وجه الارض بدماء المسيحيين والمسلمين ودخل النصارى تحت قيادة القائد (جودفروا دوبويون) (١) بيت المقدس بكيفية تخالف تمام المخالفة تلك

(١) يعرف هذا القائد في كتب المسلمين بغودفري

الطريقة السلمية العادلة التي دخله بها عمر رضى الله عنه قبل ذلك
بثلاثة قرون

ومع ما كان حينئذ بين المسلمين والنصارى من اشتداد الخطب
واحتدام الخصام فان صلاح الدين الايوبي لم يغفل طرفه عين عن
العمل بقواعد حقوق الامم التي قضى بها الكتاب المجيد فانه
حينما كان يعقد الهدنة كان يدعو خصمه ريكاردوس قلب الاسد
لتناول الطعام معه كانه لم يكن بينهما نزاع ولا قتال حتى اذا
رجعا الى اشتباك الاسنة كانا يستمتان في القتال ويسمى كل
منهما في التكميل بصاحبه باشد انواع النكال كأن لم تكن بالامس
بينهما مصافاة ولا مؤاخاة . وأفضل ما يمتاز به الاسلام عدم وجود
تمييز بين أهله وان أخذ أحكامه منحصرة في قوله تعالى (إنما
المؤمنون إخوة) وفيه أكبر ضمانة لتأمين أهل الذمة على
أرواحهم ونسائهم وأموالهم لافرق في ذلك بينهم وبين المسلمين
وعن ذلك نشأ التساوى في الحقوق والاخاء بين المسلمين وحرية
الدين . كما أن الاسلام لا يعتبر وجودا لتقسيم الممالك وتمييزها على

بعضها كما هو المتعارف عند غيره في السياسة بل انهم كلهم مسلمون تجمعهم جامعة واحدة هي جامعة الدين لا فرق في ذلك بين العرب والترك والفرس والكرد والابانيين والصينيين والهنود وغيرهم

وهذا هو الذي سهل انتشار الاسلام وتغلبه وكما فتح المسلمون الشام وأفريقيا وآسيا كذلك فتح محمود (الغزنوى) بلاد الهند والسجوقيون آسيا الصغرى والعثمانيون بلاد الروم والتاريخ أصدق شاهد على ما تقول

X (الدولة العثمانية)

نعم قد كان مؤسس هذه الدولة قانعا بما آتاه الله في بلاده الاصلية وكان هو وقومه متخذين مبادئ الدين القويم ونص القرآن الكريم لهم اماما فكانوا مثالا للفضيلة والشهامة والعدالة فلم يلبث

أن استدعته مدائن نيقيا (١) ونيكوميديا (٢) وماعداها من بلاد
بوتينيا فدخلت في حكم العثمانيين عن طوع واختيار لاعتادوا
واجبار وعلى هذا المثال كان تسليم أهالي بروسه (٣) بلادهم
لابنه أورخان ولم يكن وقتذاك في كل العالم جيوش مستديعة فأوجد
أورخان جيشا منظما من الانكشارية (٤) وقد سميت سائر

(١) مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى واطعة شرق مدينة بروسه شهيرة بعمل
الخزف والحجاجيد المتقنة اسمها الآن أزينيك

(٢) مدينة قديمة يونانية بآسيا الصغرى أيضا اسمها الآن ازويد كانت
تحتا لمملكة بوتينيا التي هي إحدى ولايات آسيا الصغرى قديما واقعة
على بحر مرمره يدخل ميناها أكبر السفن ولها مياه معدنية ومعامل
للحرير وأنشئت فيها سكة حديد تصل الى بروسه ويبلغ عدد سكانها أربعين
ألف نسمة

(٣) مدينة بآسيا الصغرى شهيرة بجودة هوائها وجمال مناظرها الطبيعية
وبهامياها عديدة شافية لكثير من الامراض ويرحل اليها في زمن الصيف كثير
من الاغنياء لترويح النفس وراحة البدن

(٤) اسم هذا الجيش بني تشاري ويرسم بالتركي هكذا (بيكيارى) أى الجيش
الجديد ثم حرف فصار انكشارى

حكومات أوروبا على مثاله في تنظيم الجيوش الدائمة فيها
ولقد طلب محافظوا ثراقة ثراقية أو (Thrace) (١) وثرודה
وأمثالهما الحكم الاسلامي على بلادهم كما حصل ذلك في غرب أوروبا
حينما طلب الكونت جوليان من موسى بن نصير عبور المسلمين
الى اسبانيا وادخالها ضمن مملكتهم الواسعة
ولما تم فتح آسيا الصغرى وثرافة بطريفة سابية لم تسفك فيها
الدماء عادت أوروبا الى اشهار حروبها الصليبية ضد الدولة العثمانية
ولكن لم يكن القصد منها في هذه المرة تخليص بيت المقدس من يد
المسلمين كما كان الغرض من سابقتها بل أرادوا أن يخلصوا بوزنقيا
(التي هي بعض الاستانة الآن) فجرت الانهار بدماء الابرياء في سهول
قوص أوه ونيكوبلي ووارنة . وليس من ينسى ما كان يعامل به
أسرى الحرب من المجاملة واللين وكيف اشخصوا الى ديارهم بأوروبا
سالمين بدون أن يصل لهم أي أذى أو تؤخذ عنهم فدية عظيمة
ورأى العثمانيون حينئذ ان استيلاءهم على القسطنطينية

(١) ثراقية ولاية بتركية اوروباهي الآن عبارة عن ولاية أدرنة

أصبح ضربة لازب لحفظ دولتهم فأنذرها السلطان محمد الثاني بالتسليم
فأبت فالزمها بذلك وأخذها عنوة ولم يكن منه الا أنه سار على
خطة الخليفة عمر رضى الله عنه فسكن جاش المسيحيين المشتكين
وأعاد عليهم بطريركهم ومنحه امتيازات جعلتهم جميعا أسفا تلهج
بالشكره والثناء عاينه .

كذلك كان حال الاسلام في كل فتوحاته فلم يجاهر المسلمون مطالبا
بهذه الكلمة التي كانت شعارا لجميع الجيوش الفاتحة وهى « سحقا
للمغلوب » والتاريخ أكبر دليل على أنهم كانوا فى معاملة المغلوب
لا يعرفون سوى الشهامة والبروة والانسانية ولما دان للدولة
العثمانية أكبر قسم من اسيا وأوروبا وأفريقيا فى عهد السلطان
سليم الاول اعترف لها الكل بأنها خير كفاء للذنب عن الحرمين
الشريفةين فبايع آخر الخلفاء العباسيين الذى كان وقتئذ بمصر
سلطان العثمانيين بخلافة الاسلام فلم يكن بين العائلات الملوكية
كلها حتى الاسلامية منها ما يعادل السلالة العثمانية فى حسن
القيام بما هو مفروض عليها نحو رعاياها ونحو الامم الاجنبية مع